مظاهر من التنظيمات والتطورات العمرانية لمدينة دمشق خلال العصرالعثماني

د. حصة بنت عبيد صويان الشمري*

الملخص:

تتناول هذه الدراسة جوانب مختلفة من التنظيمات والتطورات العمرانية لمدينة دمشق خلال العصر العثماني، وذلك من خلال تقديم عرضًا تخطيطيًا لمرافق المدينة بين سورها وقلعتها وجامعها الكبير وطرقاتها العامة ونقاط التجمع الرئيسة فيها مثل الأحياء والأسواق.

Abstract :

Models of organization and urban developmentOf the city of Damascus during the Ottoman era

This study deals with different aspects of the urban structures and developments of Damascus during the Ottoman period. This By making an offer of the city's facilities between its walls, its citadel, its large, its main roads and its main assembly points, such as neighborhoods and markets.

Key words : the urban; Damascus; the Ottoman period; citadel; mosque; neighborhoods ;markets.

مقدمة:

لاقت دمشق، اهتماماً منقطع النظير طوال الفترات التاريخية المختلفة ، تناول فيها الباحثين مختلف الجوانب عبر تاريخها الطويل، من أوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية، لكن هذه الدراسات رغم كثرتها وتنوعها، إلا أنها لم تشمل كل شيء على نحو موضوعي وتحليلي .

من هذا الجانب تحددت المشكلة البحثية بـ **(وجود نقص في المعرفة المتوافرة عن طريقة تنظيم المرافق العمرانية لمدينة دمشق وتطورها خلال العصرالعثماني)**، فكان هدف البحث : (التعرف على العناصر الأساسية المؤثرة في تنظيم المدينة ، كونها الأساس الأهم الذي تشكلت حوله ومن خلاله العمارة

* - أستاذ التاريخ المشارك بجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، الرياض، المملكة العربية السعودية.

الإسلامية في دمشق من جهة ولتضييق مجال البحث من جهة أخرى ، إضافة إلى استعراض أهم المرافق العمرانية والعامة وطريقة تنظيمها وتطورها) ، حيث لم يكن العصر العثماني سوى أحد فصول تطور تاريخي طويل لمدينة دمشق،ترجع بدايته إلى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، وعلى هذا يجب اعتبار العديد من التنظيمات العمرانية التي تميز هذه المدينة،بانها خصائص تقليدية لا يمكن تجاهلها، ولكن يفترض البحث وجود معطيات أساسية ثابتة مرتبطة بالتنظيم العمراني لمدينة دمشق، وظفت بمجموعة من الطرق وضمن درجات مختلفة من المعالجة خلال العصر العثماني ، سيتم التركيز عليها في هذاالبحث.

وللتحقق من فرضية البحث وتحقيق هدفه ، تم اتباع منهج المسح التاريخي ، حيث أُعتمد في الدراسة على مؤلفات مؤرخين عاصروا جوانب من هذا العمران ومراحل تطوره ، فضلًا عن الرحالة الذين وفدوا إلى دمشق في ذلك العصر وكانوا شهود عيان لعمرانها .

وقد استخدم في هذا البحث أيضًا المنهج الوصفي للمرافق العمرانية من خلال النصوص التي سُجلت في كتب المؤرخين والرحالة .

أولا :العناصر المميزة في التنظيم العمراني للمكان

لقد ضمت نشأة المدينة العربية الإسلامية العناصر الأساسية في التنظيم والتخطيط العمراني ، وهذه العناصر هي المسجد الجامع ، ودار الإمارة والسوق ، وبمرور الزمن اختلف تأثير هذه العناصر في تخطيط المدينة العربية الإسلامية .

وقد أشارت الدراسات السابقة في موضوع العمارة الإسلامية في مدينة دمشق إلى مجموعة من العناصر والعوامل الثابتة ، والتي ترد بشكل غير مباشر في سياق عرض كل دراسة لموضوعها الأساسي الذي تركز عليه ، ويمكن تحديد هذه العناصر بحسب طرق تأثيرها في جذب التجمع العمراني إلى ما يأتي :

1-سيطرة الأسواق على مركز المدينة :إن العنصر الذي يبدو أساسيًا في تنظيم وتطور مدينة دمشق خلال العصر العثماني ، هو الدور الحاسم الذي لعبته الوظائف الاقتصادية ، وبصفة خاصة التجارية، فقد تحدث سوفاجيه عن مدينة

دمشق ، مؤكدًا " أن الأسواق في نهاية الأمر السبب الرئيس في وجود التجمع السكاني ، كما أنها الجزء الأساسي من المنطقة التي يطلق عليها اسم (المدينة)[1].

ويمثل الجامع الكبير الذي أنشئت أو نمت حوله دمشق، عنصرًا ثانويًا يرتبط عادة وبقوة بالسوق، ولكن موقع الجامع المركزي ليس سوى تناسخ لصرح معماري أكثر قدمًا،وهو موقع المعبد الوثني أو الكنيسة[2].

أما بالنسبة لمركز الحكم (القصر أو القلعة) فقد كان موقعه غير ثابت وفي الغالب ينتقل إلى خارج المدينة، مما جعل تأثيره ثانوياً نسبيًا على عمران المدينة[3] (الشكل رقم : 1).

ويعد عدم ثباته ظاهرة معروفة سابقًا في مدينة دمشق ، ففي العصر الأيوبي أقيمت القلعة على أطراف سور المدينة، وشُيدت أسفلها بعض المرافق الاقتصادية، ولكن بدون أي تأثير في باقي عمران المدينة، ووجدت هذه الظاهرة المتبعة من قبل الحاكم لمغادرة مركز المدينة في العصر العثماني لعدة أسباب، منها: محاولة عزل موقع السلطة عن الأهالي لتوفير الأمن والاستقرار والابتعاد عن الاضطرابات والمشاكل، اختفاء أصحاب الطبقة الحاكمة وخاصة الأجانب عن أنظار الشعب، الحصول على أماكن واسعة لإقامة المعسكرات والمناورات[4].

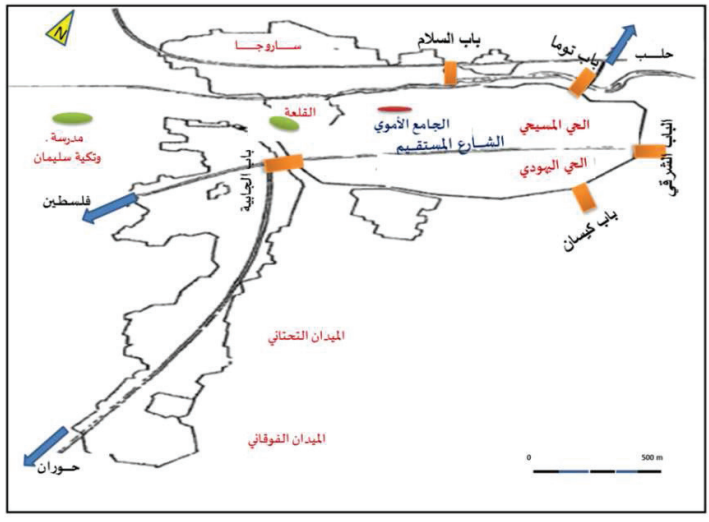

(الشكل رقم : 1) مخطط يوضح المعالم البارزة في دمشق

المصدر: الباحثة

وقد اكتفى الباشوات في استخدام القلعة من قبل الحكومة كما فعل من قبلهم الأيوبيين والمماليك، حيث اصبحت القلعة مقرًا لحامية انكشارية السلطان في العصر العثماني ، كما أنهم كانوا يحرصون بصفة عامة على الابتعاد عن وسط المدينة ويشيدون قصورهم في الأطراف[5].

2- توزيع مرافق المدينة إلى قسمين منفصلين: كان العنصر الثاني الذي يميز تنظيم مدينة دمشق هو توزيع مرافق المدينة على قسمين منفصلين ، قسم يختص بالمرافق الاقتصادية وقسم آخر يختص بالمنطقة السكنية، ومن الأسباب التي كانت وراء هذا التقسيم هو سيطرة المرافق الاقتصادية على وسط المدينة، كما أن الإسلام يحث على استقلال المناطق السكينة، وهيميزة معروفة ومنتشرة في مختلف بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط[6].

ويظهرلنا هذا التقسيم من خلال اختلاف شبكات الطرق . ففي وسط المدينة الذي يمثل مركز المرافق الاقتصادية يلاحظ شبكة من الطرقات المفتوحة والممتدة بشكل مستقيم حتى تصل نهاية المنطقة العمرانية ، وتتصل بطرقات واسعة تؤدي إلى الضواحي. هذه الطرقات خلفتها المدينة الرومانية القديمة التي ورثتها دمشق[7].

3- عزل الجاليات في أحياء خاصة : ويظهر أن العنصر الرابع الذي يميز التنظيمات العمرانية لمدينة دمشق هوعزل الجاليات في أحياء مستقلة . فكانت كل جالية تسكن في حي خاص بها ، وظهر هذا الانعزال واضحًا لدى الأقليات الدينية وجاليات الجماعات العرقية[8].

ففي القرن التاسع عشر كان الانعزال العقائدي في دمشق كبير جدًا ، حيث تجمّع المسيحيون عام 1860ملل سكن في حي باب توما وعددهم يقارب22 ألف[9]، كما تجمّع اليهود في حي باسمهم جنوب شرق المدينة[10].

هذه الطريقة كانت معروفة في مدينة دمشق منذ زمن قديم، ولكن من المتوقع أن تجمع الأقليات وخاصة الذميين قد أصبح أكثر توطدًا خلال العصر العثماني ، وقد أدى الاستقلال الإداري الكبير الممنوح لهذه الجاليات في دمشق ، وكذلك

الرغبة في تأمين حمايتها ، إلى دفع هذه الجاليات إلى التجمع في أحياء معينة الحدود[11].

الثانيا :المرافق العمرانية والعامة وطرق تنظيمها

تشير الدراسات السابقة في موضوع عمارة دمشق إلى الكثير من المرافق العمرانية والعامة في مدينة دمشق والطرق المتبعة في تنظيمها ، وسنتناول في هذا البحث أبرز وأهم تلك المرافق:

1-مركز المدينة :

لقد بقي مركز المدينة بطرقاته المستقيمةوالمتعامدةشبه متكامل داخل سورها، مما يدل على تأثير العصور القديمة ، ويتحدد هذا المركز بشكل شبه مستطيل يحدده أربعة نقاط رئيسة وهي : الجامع الكبير ، والقلعة[12]، وباب السلام[13]، وباب الجابية[14]، وقال" بورتر"[15]عندما سار على الشارع المستقيم نحو جهة الغرب حتى وصل القناطر : "وهكذا كان القسم الشمالي الغربي من المدينة حافلًا بالمتاجر تتخللها هنا وهناك الجوامع وبيوتات الأعيان "[16].

ومن خلال أوصافم شاهدات بعض الرحالة الأجانب ، يتبين أنه يتواجد بداخل هذا المركز المستطيل الكثير من المعاهد والمراكز الدينية[17]، كما يتأكد أنه يتميز عن بقية أجزاء المدينة بتجمع المرافق الاقتصادية به وكثرة عدد الخانات والمخازن الموجودة فيه، والتي كانت إلى حد كبير أحسن بناء والعناية بها أفضل ، إضافة إلى أن أسواقه كانت أكثر رواجًا من أسواق المناطق الأخرى ، وتتعامل بشكل أساسي في بيع البضائع المصنعة والكماليات[18].

2-سور دمشق :

على الرغم من توسع دمشق وتجاوزها لحدود السور القديم الذي يعود إلى العصور الوسطى ، وكذلك تعرضه للتصدع والتهدم بالقرن التاسع عشر الميلادي ، إلا أنه احتفظت بأجزاء كبيرة منه ، وظل يمثل عنصرًا هامًا في المدينة ويؤثر في تنظيم العمران الداخلي بها[19].

وقد ذكر " ديتمان " أثناء إشارته إلى توسع المدينة ، أن بعض المستوطنات امتدت إلى خارج السور في بعض الجهات، فمثلًا في ناحية الشمال امتدت قرية العقيبة باتجاه وسط المدينة داخل السور واتصلت بمنطقة مزدحمة يطلق عليها اسم " العمارة البرانية "، وايضًا من ناحية الجنوب امتد قسمًا من حي " الشاغور البراني " خارج سور المدينة[20].

وقد تم الاستقرار على امتداد الطرق التجارية الرئيسة باتجاه الشمال الغربيفي حي ساروجا[21]،وبالاتجاه الجنوب الغربي في حيالسويقة ، و في ضاحية الميدان[22] على طريق شبه الجزيرة العربية، وكذلك على الطريق المتجه إلى ساحل مصر وفلسطين، كما أن بعض العمران امتد إلى خارج سور المدينة باتجاه الشرق والجنوب الشرقي . وربما يكون سبب هذا الخروج هو قلة المياه وتوقف قنوات الري في هذا المكان[23].

أما المقابر والمزارع فقد خصصت لها الأراضي الواقعة جنوب السور من الخارج، وعلى الرغم من ذلك فقد امتدت بعض المزارع إلى الداخل على حساب مساحة عمران المدينة[24].

وبقيت المناطق الجنوبية والجنوبية الشرقية خالية من العمران، بالإضافة لمنطقة صغيرة غرب حدود المدينة بين الامتداد الشمالي والجنوبي الغربي ربما بقيت فضاء لتقيم عليها القوات العثمانية معسكراتها واستعراضاتها العسكرية[25].

كما أن من مميزات سور دمشق في العصر العثماني إنه شكَّل نهاية لبعض طرقات المدينة ، فأصبحت الأحياء المغلقة من أبرز المخططات السكنية الشائعة منذ العصور الوسطى، واستمرت دمشق في معظمها متاهة من الأزقة غير المتصلة والأحياء المغلقة حتى عهد متأخر من القرن العشرين[26].

3- الضواحي :

تُعتَبر الضواحي السكنيةمن أهم أماكن التجمع العمراني في دمشق، والتي نشأت خارج أسوار المدينة منذالعصر المملوكي كسويقة ساروجا،ومنها التوسعات التي طرأت على الصالحية، والعقيبة[27]،والميدان. فكانت نشأةهذه الضواحي من أهم الأسباب التي أدت إلى تطور المدينة،حيث استمرّت النهضة العمرانيّة وتوسعت

أحياء جنوب دمشق في العصر العثماني بسبب الأنشطة التي تركها الحج، فتطورت أرض الميدان بعد أن كانت عبارة عن تجمّعات سكنية منفردة وقرى لاتشكل كثافة سكانية،مثل"القُبيبات"[28]واتصلت هذه الأحياء ببعضها فصارت ضاحيةكبيرة، يبلغ طولها حوالي ثلاثة كيلو مترات على الطريق المتجه إلى الحجاز والمؤدي للمناطق الزراعية في حوران[29].

كما أن الأتراك العثمانيون غالبًا ما يذهبون إلى منطقة السراي[30]في غربي مدينة دمشق وأوجدوا فيها ضاحية جديدة للإقامة بها، تمتد على طول القناة الرومانية، وتدعى " القنوات " ، وقد مثَّلت مبانيها في أواخر القرن التاسع عشر مرحلة من مراحل التطور المعماري لمدينة دمشق[31].

4-المنازل والدور:

تميز تخطيط المنازل التقليدية في دمشق بصفة عامة بوجود فناء أوسط تشغل مساحته حوالي ثلث مساحة البناء ، وتحيط به حجرات المنزل ، ويشتمل الفناء في المنازل الكبيرة على حوض كبير للماء ومصاطب حجرية للجلوس وحدائق واسعة وباحات سماوية وإسطبلات وغرف للمؤونة، كما تشتمل المنازل على إيوانغرف استقبال صيفية وأخرى شتوية وقاعات للحرملك وأخرى للسلاملك[32].

وفي بعض المنازل تكون نوافذ الطوابق العليا والشرفات واسعة فتتجاوز سور المدينة وتصبح أكثر انفتاحًا إلى خارج المدينة من الداخل[33].

وكان مركز المدينة مقرًا لكثير من دورالأسر الدمشقية المسلمة البارزة ، إذ كان يوجد في مركز المدينة نحو تسعة عشر دارًا من الدور الهامة، وأبرز مثال على هذه الدور هو قصر العظم ، الذي يقع جنوبي الجامع الأموي، بناه أسعد باشا العظم عام 1163هـ / 1750م، ويتكون من ثلاثة أجنحة هي : قسم الاستقبال (السلاملك) ويقع في الجهة الجنوبية الشرقية، ويتوسط الفناء بركة ماء، وإيوان في الجهة الجنوبية له غرفتان جانبيتان، والثاني قسم النساء (الحرملك) وهو أكبر الأقسام،يتوسط فناءه بركتان تحيط بهماقاعات خاصة بالنساء ذات أسقفخشبية ملونة ومُزيَّنة بزخارف كتابية وهندسية ونباتية، كما زُينت جدرانها بالفسيفساء

الرخامية المحفورة والملونة. أما القسم الثالث فهو مخصص للخدمات والملاحق كالمطبخ والحمام الذي يُعد مثال مُصغّر للحمامات العامة[34](اللوحةرقم : 1) .

واستمر السكن في هذا القصر حتى عام1338 هـ/ 1920م، ثم تحول جزء منه مركزًا لدراسة الفنون ، وأخيرًا في عام1371هـ/ 1952 م أصبح متحف للتقاليد الشعبية[35].

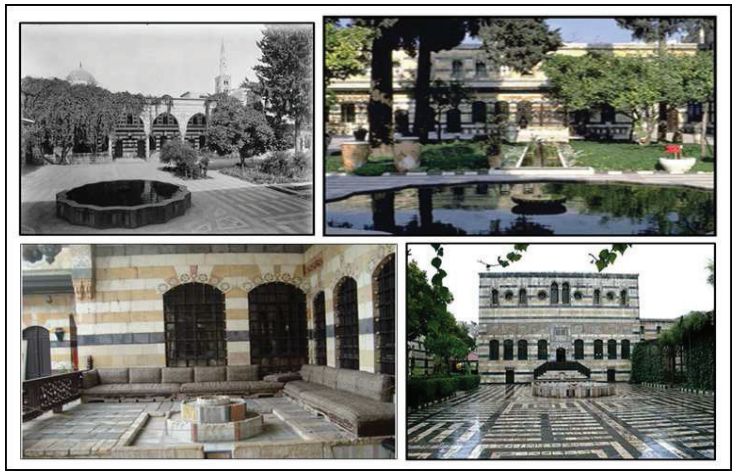

(اللوحة رقم : 1) قصر أسعد باشا العظم

وبما أنه من المعروف أن مركز المدينة لم يكن مخصص أصلًا للسكن ، فإن تجمع هذه الدور فيه يدل على أنه توجد علاقة وظيفية بينها وبين الوظائف الاقتصادية التي كانت تمارس في تلك المنطقة[36].

أما في خارج سور المدينة، فكانتدار محمد باشا العظم أول دور الأعيان المسلمين التي شيدت في المنطقة العثمانية نهاية القرن الثامن عشر، كما شُيدت دار هامة أخرى في هذه المنطقة للمتصوف الشيخ مراد البخاري ، شيخ الطريقة النقشبندية[37]ومؤسس أسرة المرادي، وكذلكدار آل اليوسف التي بنيت في نهاية القرن التاسع عشرالميلادي[38].

5-الجوامع والمدارس الدينية :

وتأتي في مقدمة المرافق العمرانية المباني الدينية، التي يمثل فيها المسجد الجامع الأساس الأول لهذه المباني، التي تنوعت بتنوع وظائفها المنبثقةفي الأصل من وظائف المسجد الجامع، وتطورت بفعل الظروف السياسية والاجتماعية في

العصور التاريخية الإسلامية المتتابعة. ومن هنا جاءت المساجد والمدارس والخانقات والأربطة والزوايا والتكايا في جملة هذه المباني التي لبت احتياجات المجتمع الدينية والتعليمية.

ويعد الجامع الأموي الكبير مركزًا للحياة الدينية والتعليمية ، امتد تأثيره إلى جميع مناطق بلاد الشام،وخلال العصر العثماني أُجريت له بعض الإصلاحات وأعمال التجديد والترميم، منها ما قام به الوالي جانبردي الغزالي في عام924هـ/ 1518م، وفي عام1311هـ/ 1893 متعرض لحريق من الجهة الغربية، مما أثرَّ على السقف والجدران والأبواب وأدى إلى سقوط القبة الوسطى وتدمير الأجزاء الداخلية لقاعة الصلاة ومعظم الفسيفساء والألواح الرخامية، فأُجريت له في وقت لاحق عمليات ترميم لكامل الجامع مع المحافظة على التخطيط الأصلي له بشكل كبير[39].

وكان في الجامع الكبير يؤدي الوالي صلاة الجمعة ، ويشيد الخطيب بشرعية الحكم العثماني للمدينة ، وفيه تعقد حلقات العلم طوال الأيام ، ويجتمع سكان دمشق في ساحاته المفتوحة أو في قاعات الصلاة ، وفي الواقع أنه تم نشوء وتنظيم العديد من الحركات الجماعية في هذا الجامع الكبير[40].

وحول الجامع الأموي يوجد عدد كبير من المساجد العثمانية ، من أهمها جامع الدرويشية ، الذي بناه الوالي درويش باشا في عام 982 هـ /1575م ، واتَّبعَ في تصميم منارته الطابع العثماني[41](اللوحة رقم :2).

(اللوحة رقم :2) جامع الدرويشية

كما أنه يجاور الجامع أيضًا بعض المدارس التي يعمل على دعمها للقيام بوظائفها الدينية والتعليمية، كمدرسة البادرائية، والسليمانية، والسميساطية، والخياطين ، وعبد الله باشا وغيرهم[42].

أما الأحياء البعيدة عن وسط دمشق، فلها مساجدها، وزواياها[43]، ومدارسها وخوانقها[44]، وتكاياها[45]الخاصة بها، ولعل أهمها التكية السليمانية لأتباع الطريقتين المولوية[46]والنقشبندية ،والتي شُيدت عام 1554م ، في مكان قصر الأبلق للظاهر بيبرس ، الذي هدمه تيمور لنك[47]، وتتكون من فناء يتوسطه بركة مستطيلة ، تتوزع حوله مجموعة من المباني المفصولة عن بعضها ، يحيط بها سور حجري مستطيل ، ويخدم التكية ثلاثة أبواب : باب شرقي يصل التكية بالسوق المجاور والمدرسة ، وآخر شمالي تتقدمه قبة صغيرة ، وباب غربي[48].

وفي الجهة الجنوبية من التكية يوجد مسجد مربع الشكل ومغطى بقبة مرتفعة من النمط العثماني ويتقدم المسجد رواق عريض، وتزين محرابه المقرنصات [49]وزخارف من الفسيفساء الرخامية، وللمسجد في زوايا سوره الشمالي مئذنتان أسطوانيتين تنتهيان بشكل مدبب[50] .

أما الجهة الشمالية من التكية ، فقد خُصصت لغرف السكن ويتقدمها رواق يطل على الفناء ، وجميعها مع الرواق مسقوفة بالقباب ، وغطيت الجدران الداخلية للغرف بألواح القاشاني المزخرفة[51].

ويوجد خارج أسوار التكية ، السوق الذي يتصل معها عن طريق الباب الشرقي أما المدرسة فترتبط مع السوق بباب في منتصف الجهة الجنوبية من صف الدكاكين . وهي مربعة الشكل تقريبًا وتشبه تصميم التكية إلا أنها أصغر حجمًا ، وللمدرسة أيضًا مسجد خاص بها في الجدار الجنوبي ، يشبه مسجد التكية[52] (اللوحة رقم : 3).

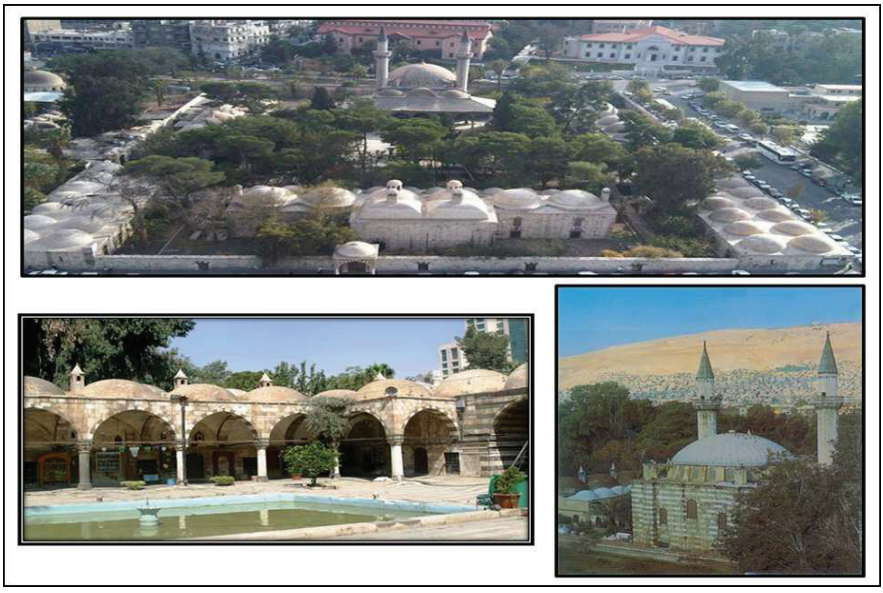

(اللوحة رقم : 3) التكية السليمانية

كذلك وجدت مؤسسات وزوايا دينية أخرى خارج سوره المدينة ، منها جامع ومدرسة لأتباع الطريقة المولوية ،والزاوية الخاتونية لأتباع الطريقة الخاتونية ، والزاوية الشابكلية لأتباع الطريقة النقشبندية[53].

ومما يلفت الانتباه هنا أن عددًا من المؤسسات الدينية ارتبطت أسماؤها بالأشراف ، فكان في الميدان التحتاني ثلاثة من الجوامع تحمل أسماء سادة أشراف وهي : جامع سيدي عُمر ، وجامع سيدي صهيب ، وجامع سيدي جوبان ، كما ارتبطت الزاوية الرفاعية بأسرة العجلاني[54].

6-الطرقات والازقة :

تعد الطرقات في المدينة العربية الإسلامية وسيلة مهمة من وسائل الاتصال ، ولم تكن خاصة بالحركة أو فصل الأحياء ، وإنما كانت تخدم الأنشطة التجارية خاصة القريبة من المنطقة المركزية[55]، ومنوسط دمشق تنطلق شبكة من الطرقات الواسعة نسبيًا والمستقيمة إلى حد كبير ، والمفتوحة لتمتد حتى نهاية المنطقة المبنية وتصل إلى طرق واسعة تؤدي إلى خارج المدينة . فهذه الشبكة من الطرق هي ميراث قديم من العصر الروماني[56].

وقد تم العثور على العديد من آثار العصر الروماني في مخططات المدينة الحديثة، كما أشار رحالة أوروبيون بوصف دقيق لشوارع دمشق الضيقة المسدودة وجدرانها الملساء الخالية من النوافذ وطينها وأسرارها[57].

ومما هو جدير بالذكر أن العربات ذات العجلات لم تكن مستخدمة في دمشق حتى أواخر العصر العثماني . ولم تستدعي حركة المرور الاتساع أو الاستقامة ، ويستطيع ركاب الجمال والبغال والمشاة وفرق الفرسان التحرك عبر أبواب المدينة وعلى طول طرقاتها العامة وأزقتها للوصول إلى وجهتهم مباشرة حتى وإن كانت في مركز المدينة ، بينما من الممكن أن تأخذ حركة المرور عبر المدينة شكلاً دائريًا ، أما حركة المرور داخل المدينة فقد اتبعت طرقًا معينة ومستقيمة نسبيًا وظيفتها أن تكون الطرق التجارية الرئيسة للمدينة[58].

ومن المتوقع أن الغربيون هم من أطلق على الطريق الشرقي – الغربي اسم " الشارع المستقيم " ، بينما كانوا أهالي دمشق يسمونه في القرن الثامن عشر باسم " الدرب الشرقي " ، ويتصل هذا الطريق مع طريق القوافل الشرقي المؤدي إلى بغداد ، والذي يخترق الواحة الشرقية بعد أن يؤدي إلى خارج المدينة من الباب الشرقي ، ومن خلال الباب الشرقي يستمر هذا الطريق في داخل المدينة حتى يصل إلى سوق البزوريه[59]، ويشكل نهاية له عند عدة مخازن . ولم يتعرض الشارع المستقيم لأية اصلاحات حتى السبعينات من القرن التاسع عشر ، حيث تمت توسعته وجعله مستقيمًا حتى غربي سوق البزورية ، ومن بعد ذلك الوقت عُرف باسم سوق " مدحت باشا " نسبة للوالي العثماني الذي قام بإعادة بناءه[60](اللوحة رقم : 4).

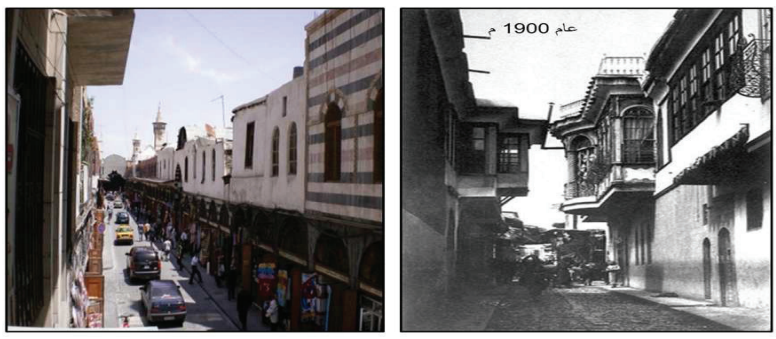

(اللوحة رقم : 4)الشارع المستقيم

ويدخل الطريق الغربي القادم من مصر ومنطقة الجولان وفلسطين إلى المدينة من خلال باب ساروجا[61]، أما الطريق الجنوبي القادم من شبه الجزيرة العربية وحوران والأردن فيمر مباشرة من خلال الميدان ، وكان هذا الطريق مشهدًا لموكب قافلة الحج، إضافة إلى حركة قوافل المواد الغذائية المستمرة[62].

وتلتقي طرق التجارة والإمدادات الجنوبية و الغربية على الجادة[63]التي تبدأ من عند القلعة حتى تصل لجامع السنانية بطريقة تجعل شكل المدينة كأنه دائري، ويعد هذا الطريق من أشد طرق المدينة إزدحامًا . ويحيط بهذه الطرق الجنوبية الطويلة من الجهة الشرقية بعض المزارع والحدائق وفي نهايتها مقبرة كبيرة . وفي الأصل كان هذا الطريق يسمى بـ "درب القرويين"، ولكن بعض الرحالة الأوربيين في منتصف القرن التاسع عشر قد أطلقوا عليه اسم " طريق القوافل"[64].

أما طريق التجارة الشمالي فيدخل إلى المدينة من عند باب توما ، ثم يتجه جنوبًا حتى يلتقي مع الطريق الشرقي عند مدخل الحي المسيحي في المدينة ، حيث أنشأت الحكومة العثمانية مركزًا عسكريًا هناك ، لحفظ الأمن بسبب النزاع المدني في منتصف القرن التاسع عشر[65].

وتلتقي جميع طرق المدينة الشمالية والشرقية بجانب باب الكنسية ، ثم تتجه نحو الغرب إلى وسط المدينة على امتداد الشارع المستقيم مما جعل هذه المنطقة مزدحمة جدًا[66].

7-الأحياء السكنية:

يعد تقسيم المدن إلى أحياء مغلقة تنظيم عمراني قديم جدًا[67]، ويرجعسبب هذا التقسيم لتسهيل السيطرة على السكان ، وكذلك لرغبة الطوائف في التقارب والتلاحم واستقلال كل طائفة في حي خاص بها ، وبمرور الزمن أصبح هذا التقسيم أكثر أهمية لأسباب أمنية ، ويؤكد سوفاجيه أهمية هذا العامل لمدينة دمشق منذ القدم ، والتي ازدادت خلال العصر العثماني بسبب تكاثر الجاليات والسماح لها بالاستقلال[68].

ويستمر تزايد عدد الأحياء مع تطور المدينة ، فمثلًا في القرن السادس عشر كان يوجد بدمشق 29 حيًا[69]، وكان يطلق على الحي اسم (حارة) ،تطورت حول المنطقة التي تشغلها الأنشطة الاقتصادية مناطق أخرى ، وكانت أحياءالأغنياء والتجار تقع في وسط المدينة بالقرب من الجامع الكبير ، وكان كل حي يشتمل على شبكة من الطرقات تتفرع من الشارع الرئيس الذي يؤدي إلى الخارج ، ويتم إغلاق الحي بواسطة بوابة كبيرة تقع في بداية الشارع الرئيس ، وتمثل جدران المنازل الخارجية المتلاصقةوالملساء الخالية من النوافذما يشبه السور الذي يحيط بكل حي ويفصله عن غيره من الأحياء المجاور له[70].

أما الأحياء السياسية والعسكرية ،وكذلك الاحياء الشعبية فكانت تقع في أطراف محيط المدينة الخارجي بعيدة عن الوسط[71]، وايضًا تشتمل هذه الأحياء على شبكة من الطرقات المتعرجة والأزقة المسدودة(الشكل رقم : 2)، التي أثارت مشاعر الرحالة والمؤلفين المعاصرين ، حيث بلغت نسبة الأزقة المسدودة في العصر العثماني نحو43,1 % من مجموع أطوال شبكات الطرقات[72].

(الشكل رقم :2)مخطط لأحد الأحياء نقلًا عن Sauvaget , Esquisse p 452 ,

كما أن هذه الأحياء التي ابتعدت عن وسط المدينة ، قد لعبت دور مهم في تنمية النشاط الاقتصادي بمناطق الأطراف وجذبها إليها.

وفي ضاحية الميدان توجدشبكة من الطرقات المتوازية ، يبلغ اتساع كل منهاما بين 4- 5 أمتار ، وتؤدي هذه الطرقات إلى شارعين رئيسين ، كما تُحددأطراف قطع أراضي متلاصقة يبلغ عرض كل منها 40 مترًا في الجزء الشرقي ، و 30 مترًا في الجزء الغربي ، شُيدت عليها منازل تبلغ مساحة كلًا منها 200 - 400 م2 .وبناءً عليه فإن وجود أي منزل على إحدى هذه القطع خلال الفترة ما بين 1161م - 1748 م ، يجعل من المتوقع أن يكون بداية تاريخ تقسيم الأراضي كان قبل منتصف القرن الثامن عشر[73].

8-المرافق الاقتصادية:

حدثت للدولة العثمانية تحولات اقتصادية في القرن 12هـ/ 18م،فأخذت مكانها كجزء من حركة اقتصادية عالمية[74]،وكانت دمشق كولاية عثمانية في ذلك الوقت مُرشحة لأن تشهد نشاطاً وتبادل تجارياً واضحاً بينها وبين الأقاليم المجاورة، وقد ساعدها على ذلك النشاط المبكر وقوعها بين حواضر اشتهرت بدورهاالتجاري كمدينة حلب،والقدس،ومدن الساحل الفلسطيني، ومدن الحجاز جنوبا من ناحية ،إضافة إلى كونها آخر محطة لدرب الحرير من ناحية أخرى ومحل اجتماع الحجاج القادمين من الشمال[75].

ونتيجة لذلك تميزت دمشق في وجود مرافق عمرانية أخرى، كان لها دور واضح في تقديم النشاطات التي ساهمت في تفعيل الحياة الاقتصادية في مجتمع دمشق ، مثل :

9- الأسواق والقيساريات أنشئت الأسواق في دمشق، وتطورت بشكل سريع بسبب التغيرات السياسية التي حصلت للمدينة قبل العصر العثماني[76]،ومازالت دمشق تحتفظ بموروث كبير من تراث غني لتلك الأسواق ،التي انتشرت في معظم أحياء المدينة ،وأصبحت تدلل على حجم النشاط التجاري ومساحة النسيج العمراني خلال القرن 12هـ/ 18م وحتى القرن 13هـ/19م[77] .

وشهد العصر العثماني إقامة مجموعة من الأسواق،شيدها بعض الولاة[78]،إضافة للعديد من الأسواق المكشوفة والمؤقتة، كسوق الأحد وسوق الجمعة المجاور لحي اليهود[79].

ويذكر أنه حتى منتصف القرن 14هـ/19م،كان يوجد بدمشق ما يقارب المائة والخمسين سوقاً[80]،مما يدلل على حركة تجارية نشطة كانت تشهدها المدينة، وكانت معظم هذه الأسواق تقع في وسط المدينة بالقرب من الجامع الأموي[81]،ومن هذه الأسواق على سبيل المثال : سوق العنبرايين، الواقع عند باب الجامع الأموي، وسوق الذراع، لبيع الثياب والملابس النفيسة،وسوق الذهب،وسوق الحرير،وسوق الكوافين، لصنع وبيع الكوف،ويقع عند باب البريد، وغيرها من الأسواق الأخرى[82].

وتتصف تلك الأسواق بتصميم عمراني يتناسب مع مايعرض فيهامن السلع (الشكل رقم : 3)، وكان موقعها يتمركز في مكان حيوي، يمتد من الشارع الروماني القديم في الجنوب إلى الجامع الكبير في الشمال الشرقي وإلى القلعة في الشمال الغربي[83].

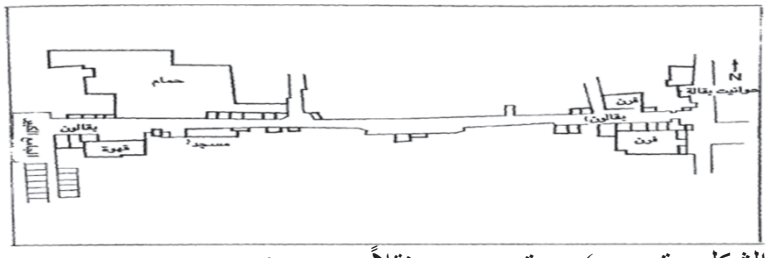

(الشكل رقم : 3) سوق جيرون نقلاً عن Sauvaget , Esquisse p 451

ويستدل مناختصاص بعض تلك الأسواق في بيع أنواع محددة من السلع، وكذلك تجمعها في أماكن معينة، على إنه تمت مراعاة التخصص المهني فيها.

وإضافة إلى الأسواق المغطاة، وجدت في دمشق بعض الأسواق المؤقتة أو الساحات المكشوفة بدون بناء ،كسوق الجمال في حي الميدان. كما أن النشاط الاقتصادي في دمشق، قد ساهم على تحقيق النمو عمراني الملحوظ للضواحي الشمالية الشرقية، والجنوبية الغربية من المدينة[84]،حيث مبدأ تنظيم الأنشطة الاقتصادية إلى نقل أسواق بعض المهن إلى خارج سور المدينة، وهي تلك التي لها قيمة منخفضة نسبيًا، والتي تسبب تلوثاً في منطقة وسط المدينة ، وكذلك تلك

الأنشطة التي ترتبط بالريف مباشرة كالمنتجات الزراعية ، أي أنه باستثناء المعادن الثمينة والنسيج، فإن جميع البضائع الأساسية (أي مكونات الإنتاج والأدوات والأسلحة والدواب وربما العبيد) كان يتم الإتجار بها خارج السور[85]. فلذلك وجدت اسواقها بالقرب من أبواب المدينة لتلبية حاجة واضحة ، ولتوفر الأراضي والمساحات المكشوفة اللازمة لتخزينها أو شحنها .

10- الخانات والوكالات :

انشئت الخانات، والوكالات، في مدينة دمشق في العصر الإسلامي[86]،وتطورت في العصر العثماني، حيث قامت بدور مماثل للأسواق في النشاط الاقتصادي اليومي والموسمي للمدينة،حتى أن بعضًا منها سميت باسم البضاعة التي تباع فيها .

ومن المتوقع أن القيساريات والخانات والوكالات كانت عبارة عن مراكز تجمع اقتصادية نشيطة،حيث لوحظ أنها جميعًا تحمل نفس المعنى ،بالرغم من اختلاف المسميات والوظائف[87].

ولم يقتصر دور الخانات على التجارة فقط ،بل استخدمت لإيواء الغرباء، والرواحل ، وأُلحق ببعضها زوايا لمأوى الفقراء،كما أن فائدتها تعود على أصحابها وعلى ابناء المجتمع الدمشقي، حيث تقتضي طبيعة دورها التجاري على ضرورة توفير بعض الوظائف والمهن اللازمة لها .

وقد شُيدت بتخطيط معماري متشابه،حيث كانت تتكون من دورين ، يشتمل الدور الأرضي على المخازن،بينما تتوزع الغرف المسقوفة بالقباب في الدور العلوي والتي كان يسكنها في الغالب بعض التجار الذين يفدون من خارج المدينة لبيع بضائعهم[88].

ومن الخانات المهمة التي تميزت على غيرها تجاريًا ،خان الجوخية،الذي شيد في سوق الخياطين في بدايةالحكم العثماني سنة 960هـ/1552م، وخان البطيخ الواقع في منطقة العوينية قبلي المدرسة الشامية البرانية[89]، وخان الزيت ، الذي شيد في القرن 11هـ/17م في سوق مدحت باشا[90].

ولم تقتصر الخانات على داخل السور،بل وجد الكثير منها في الضواحي وعلى طرق التجارة،ولكن حسب ماتشير إليها لمصادر إن النشاط الأكثر فاعلية،كان في الخانات التي انتشرت داخل السور[91].

ونظرًا لأهمية دور هذه المنشآت في النشاط التجاري في القرن الثامن عشر بدمشق ، فقد حرص بعض ولاة دمشق على بناء الخانات رغبة منهم في زيادة وإنماء مصادر دخلهم وللحصول على الهيبة وإظهار قوتهم[92]،ولهذا السبب ظهرت تصماميم جديدة ذات مساحات ضخمة ومسقوفة بالقباب[93]مثل خان سليمان باشا ، الذي بني في عهد أحد الولاة التابعين لآل العظم في سوق البذورية ، وكان مستطيل الشكل ومسقوف بقبتين كبيرتين مرفوعتين فوق مثلث كروي بين العقود ، وقد تهدمت فيما بعد ، ويشتمل الدور الأرضي على 17 مخزنًا ، أما الدور العلوي فيشتمل على 19 غرفة تفتح على ممر . ويوجد أيضًا خان الصدرانية المسقوف بقبتين ، وخان السفر جلانية والمسقوف بثلاث قباب ، وقد بنيا هذان الخانان قبل عام1170هـ/ 1757 [94]، ولكن جميع هذه المرافق لم تكن كضخامة خان أسعد باشا العظم[95]، الواقع بالقرب من خانسليمانباشا[96].

هذا الخان ، الذي يُعدمن أكبر المرافق الاقتصادية، ولا زال يستخدم كسوق في دمشق ،وكان عبارة عن صحن مسقوف بتسع قباب موزعةعلى ثلاثة صفوف، وفي الوسط قبة واسعة تحتها بركة مضلعة، ويوجد في القباب نوافذ لإنارة الصحن ويؤدي هذا الصحن المغطى إلى محلات تجارية كبيرة وإلى درجين يصلان إلى ممر في الدور العلوي ، تفتح عليه حوالي ثلاثون غرفة[97].

وكان مدخل الخان عبارة عن بوابة ضخمة على شكل ايوان معقود بالمقرنصات، ويشبه مداخل العمائر المملوكية (الشكل رقم : 4) ، أما التنظيم الداخلي للخان فهو يظهر لأول مرة في دمشق مما يدلل على التأثير العثماني[98].

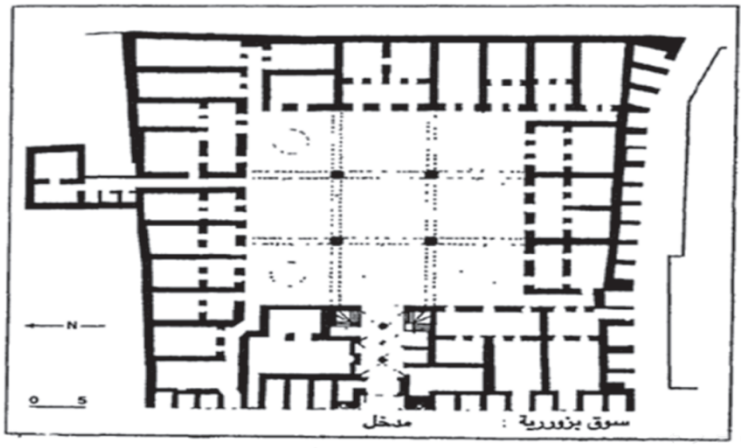

(الشكل رقم : 4) تخطيط الدور الأرضي لخان أسعد باشا العظمنقلًا عن
A.Rihawi : KhanatMadinaDimashq , Planche .

11- المقابر:

تعد المقابر من المرافق العامة الواقعة ضمن التنظيمات العمرانية للمدينة ، وهي من عوامل الجذب المختلفة بها .وقد وجدت بدمشق خمسة مقابر للمسلمين ، من أكبرها مقبرة الدحداح الواقعة في شمال المدينة ، ومقبرة باب الصغير الواقعة في الجهة الجنوبية الغربية وهما تخدمان مناطق متعددة من المدينة كالمنطقة المحلية والجهات الجنوبية من داخل السور. وبالإضافة إليهما كانت هناك مقبرة شمال غرب المدينة على سفح جبل قاسيون وهي خاصة بمنطقة الصالحية ، ومقبرة باب الله تقع جنوب الميدان وتختص به ،و في الشرق مقبرة الرسلانية[99].

وفي جنوب شرق المدينة وجدت مقابر خاصة يدفن بها أموات الأقليات الدينية[100].

12- القلعة :

عندما جاءالعثمانيون إثر معركة مرجدابق[101]عام سنة922هـ /1516م،استعملوها قلعة وثُكْنَة[102]، وأضافوا إليها بناءً مساحته ألف متر مربع خاص بالإدارة، فكانت تمثل لوالي دمشق في العصر العثماني ، ما كانت تمثله القلعة لحكام المدن الأوروبية في العصور الوسطى ،وقد اصبحت فيفترات

الاضطرابات السياسية مقراً للانكشارية[103]ويرأسها آغا[104]القلعة ومهمته استقبال وتوديع الوالي، كما أنها كانت له مخزنًا للأسلحة ، وعلى أسوارها تنصب المدافع باتجاه المدينة . وكذلك كانت توجد بها دار ضرب العملة التابعة للحاكم، كما أنها استخدمت كسجن ومعقل وكانت مجالاً للفتن والاختلافات ثم أصبحت المقر الوحيد للحامية العسكرية[105].

وكانت القلعة تشتمل من الداخل على السوق والمطحنة والحمّام ، إضافة إلى وجود جامع ، يجتمع فيه سكانها لصلاة الجمعة ولا يخرج منها السلطان الى الجامع الأموي إلا في العيدين ، مما جعلهاكمدينة صغيرة مكتفية ذاتيًا[106](اللوحة رقم : 5).

(اللوحة رقم : 5)قلعة دمشق وتبدو الأبراج الحربية

13- دور الحكومة :

تقع دور الحكومة (دار الوزارة والسرايا) في شمال غرب القلعةوخارج سور المدينة ، وكان الحاكم العثماني يقيم مع حريمه وحاشيته في السرايا تحت حماية حرسه الخاص . وفي أواخر القرنين الثامن عشر و التاسع عشر كانت توجد بدمشق ثلاثة دور للحكومة ، وخلال فترة الحكم المصري اتخذ أبو الذهب في عام1187هـ/1773م دار الوزارة مقراً له ، أما السرايا العثمانية التي بناها إبراهيم باشا في نفس الموقع ذاته تقريبًا في الثلاثينات فقد اتخذها ولاة آخرون من بعده مقرًا لهم[107].

الخاتمة :

بعد هذا العرض لموضوع مظاهر من التنظيمات والتطورات العمرانية لمدينة دمشق خلال العصر العثماني ، توصلنا إلى ما يلي :

- إن العصر العثماني لم يكن سوى فصل من فصول تاريخ مدينة دمشق ، لكنه فصل طال أمده أكثر من العصر المملوكي ، ومن ناحية أخرى كان هذا الفصل مرحلة رئيسة في تاريخ المدينة ، وذلك قبل أن يفرض الاستعمار الغربي تحديثًا كان له تأثير حاسم على التنظيم العمراني .

- يتخذ التنظيم العمراني لمدينة دمشق بصفة عامة شكل الإشعاع ، ويخرج هذا الإشعاع من المركز وفقًا لتسلسل دقيق . ففي مركز المدينة توجد الأنشطة الأكثر أهمية كالتجارة ، والأنشطة الدينية والثقافية ، ثم على مسافات تزداد بعدًا أكثر فأكثر فنجد الأحياء السكنية ، ثم الأنشطة الحرفية حتى نصل إلى الضواحي ، التي تمتزج فيها الأنشطة الحضرية والريفية معًا .

- استمرت دمشق الخاضعة للسيطرة العثمانية في الالتزام إلى حد ما في بعض مبادئ التنظيم العمراني للمكان التي حددت تطورها خلال القرون السابقة .

- أن الكثير من الأحياء التاريخية في دمشق لم تحظ بدراسة تاريخية وافية كحي الميدان العريق، الذي يعد من أكبر الأحياء ، ومازال حتى اليوم بحاجة لدراسة متعمقة وجادة تلخّص مسيرته الحضارية عبرالعصور،وتحصي آثاره المعماريّة الهامّة، وتتقصّى تاريخه الشعبي ودور أهم عائلاته في سيرة دمشق،على صعيد العلم والدين والتربية والجهاد والفنون والصناعة والاقتصاد. ولهذا نتمنى من الباحثين المبادرة لتأليف مثل هذه الدراسات المتعمقة والمستمدة من جوهر التراث الشرقي لتعكس صورة حقيقية لتاريخنا ، وتضيف رصيدًا علميًا جديدًا يتناغم مع الدراسات التي تناولت حضارة دمشق من حيث الموضوعات التي عالجتها ، وطريقة عرضها وتحليلها .

الهوامش:

1-Louis Massignon "Les corps de metieis et La cite Islamique ", Revue lnternationale de Sociologie .28 (1920) , 473-475 . Jean Sauvaget , " Esquisse dune histoire de la ville de Damas " ,Revue des Etudes Is-Lamiques , 1934 , 454

2- ريمون ، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ، ترجمة لطيف فرج ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة 1991م ، ص .127

3- ريمون ، المدن العربية ، ص .129

4- ريمون ، المدن العربية ، ص 128 .

- ريمون ، المدن العربية ، ص 128 .5

6 -Antoine Abdel Nour , Introduction alhistoirewbaine de la Syrie ottoman, Beyrouth , 1982 , 170 – 179

7- Baber Johansen : " Eigentum , Familie und Obrigkeit in hanafitischenstrafrccht " ,Welt des Islams , (1979) , 19-24.

8- ريمون ، المدن العربية ، ص 131.

9- باب توما: بني في عهد الرومان، لكنه تهدم كليًا، فأُعيد بناؤه في عهد الملك الأيوبي الناصر داود عام 1227م، وفي العهد المملوكي قام الأمير سيف الدين تنكز بتجديده عام 1333م ، ويرمز هذا الباب إلى كوكب الزهرة.

10- جان سوفاجيه ، المشرق دمشق الشام : لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى العصر الحاضر، المطبعة الكاثوليكية،بيروت ، 1936م ، ص 192 .

11- سوفاجيه ، دمشق الشام ، ص 192 .

12- سيأتي ذكرها فيما بعد .

13- أنشئ باب السلام في عهد الملك نور الدين محمود عام 1164م ، ثم جُدد في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب عام 1243م ، وما زالت آثاره باقية حتى اليوم .

14- أتت شهرة باب الجابية والباب الشرقي من عبور جيوش المسلمين من خلالهما بقيادة خالد بن الوليد وعبيدة بن الجراح لفتح دمشق ، وسمي بهذا الاسم لأنه كان يؤدي إلى معسكر الجند الذين يكلفون بجباية الضرائب. ويتكون هذا الباب من ثلاث فتحات ، وهذا التصميم الثلاثي يؤكد أنه باب روماني. لكن الملك نور الدين محمود أعاد إنشاؤه وترميمه عام 1164م ثم قام الملك الناصر صلاح الدين بن عيسى بتجديده .

15- هو الرحّالة الإنكليزي بريكهارتبورتر، الذي زار المنطقة عام 1850 م وأعجبه العيش في سوريا، وسكن في دمشق مدة خمس سنوات عاد بعدها إلى لندن وألّف كتاباً عن رحلته في الشرق بعنوان (خمس سنوات في دمشق) وطبعه في مجلّدين عام 1855م .

16- ليندا شيلشر ،دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ترجمة عمرو الملاح ودينا الملاح ،ط1 ، 1419 هـ / 1998 م، مطبعة دار الجمهورية ، دمشق ، ص 26 .

17- شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص 28 .

18- شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص 28 .

19-شيلشر ،دمشق في القرنين ، ص20 .

20 - شيلشر ،دمشق في القرنين ، ص 20 .

21-ينسب اسم الحي إلى أحد قادته وهو صارم الدين ساروجة المتوف سنة 743 هـ/ 1342 م ، ويعتبر الحي أو لمنطقة من د شق بنيت خارج أسوار المدينة .

22-يقع حي الميدان إلى الجنوب الغربي من دمشق،وكان يقسم إلى ثلاثة أقسام،وهي : الميدان التحتاني،والوسطاني،والفوقاني،وقدازدهر هذا الحي بشكل ملحوظ خلال القرن 12هـ/18 م، بسبب الحج،ونحو تجارة الحبوب بين دمشق وأجزائها الجنوبية ، وسيأتي ذكره - فيما بعد - .

23-شيلشر ،دمشق في القرنين ، ص 21 .

24-شيلشر ،دمشق في القرنين ، ص 21 .

25-شيلشر ،دمشق في القرنين ، ص 23 .

26- شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص 17 .

27 - تصغير العقبة ، وسميت بذلك لوقوعها على المنحدر الذي يحد وادي النهر من الشمال ، انظر سوفاجيه ، دمشق ، ص 189 .

28- القبيبات : قريةمنقرىدمشق، نشأت في العصرالمملوكي، وأصبحت نواة لحي الميدان الفوقاني (القسم الجنوبي من الميدان) .

29- سوفاجيه ، دمشق الشام ، ص 201 .

30- السراي أوالسرايا كلمة تركية ذات أصل فارسي (سراى) تعني "القصر". ، شاعت التسمية في بلاد الشام لتشير إلى الأحياء السكنية التي كانت تقع فيها القصور الحكومية لفترة الحكم العثماني ثم الأوربي الاستعماري، وبها كان يسكن الحريم والعشيرة للحاكم العثماني،بخلاف السلام لك التي كان يستقبلهاالضيوف من الرجال.

31- سوفاجيه،دمشق الشام،ص202.

32-شيلشر،دمشق في القرنين،ص28 .

33-شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص 21 .

34- أحمد محمد فائز الحمصي ، روائع العمارة العربية الإسلامية في سورية ، د. م ، 1982 م ، ص 105 .

35-عمار عبد الرحمن ، العمارة الإسلامية في دمشق ، مركز الباسل ، دمشق ، 2008 م ، ص 75 .

36-شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص 28 .

37- تنسب الطريقة النقشبنديةإلى الشيخ محمد بهاء النقشبندي البخاري (1389 م) ، انظر إحسان أوغلي ، تاريخ ،ج 2 ، ص 185 .

38-شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص .31

39- محمود السيد ، الجامع الأموي الكبير بدمشق أسطورة الماضي والحاضر http://www.sana.sy،

40- سوفاجيه ، دمشق الشام ، ص186 .

41 - جامع درويش باشا : https://www.naseemalsham.com

42- شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص27.

43- الزاوية : هي المسجدالصغيرالذي يتحلق فيها لمريدون حول شيخهم .

44- الخانقاه: تعني دار الصوفية التي ينقطع فيها بعض الناس للعزلة والعبادة .

45-التكية : بُنيت زمن العثمانيين على مساحات كبيرة من الأرض بشكل هندسي جميل،وتضم مسجداً وغرفاً للتدريس يأوي إليها طلاب العلم والدراويش وفيها مطابخ ومخابز،انظرعبود العسكري ، تاريخ التصوف في سوريا- النشأة والتطور، دار النمير ، دمشق ، ج1 ، ص 99 - 109 .

46- تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ جلال الدين الرومي (ت 673 هـ / 1273 م) ، وتُعد من أهم الطرق التي نشأت وترعرعت في ظل الحكم العثماني ، انظر أكمل الدين احسان أوغلي ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، ج2 ، نقله إلى العربية ، صالح سعداوي، استانبول، 1999 م، ج2 ، ص 179 .

47- أحمد فائز الحمصي روائع العمارة العربية الإسلامية في سوريا ،1982 م، د. ن، ص 77 .

48 - عبد الرحمن ، العمارة الإسلامية ، ص71 .

49- المقرنصات : جمع مقرنص وهو أحد عناصر العمارة الإسلامية المتميزة ، ويشبه المقرنص الواحد شكل المحراب الصغير، انظر عبد الرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامية ، ط1 ، جروس بيروس ، بيروت ، 1988 م ، ج4 ، ص 397 .

50- عبد القادر الريحاوي العمارة العربية الإسلامية ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق،1979 م ، ص 240 .1

51- عبد الرحمن ، العمارة الإسلامية ،ص 72 .

52-عبد الرحمن ، العمارة الإسلامية ،ص 72 .

53 - شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص 28 .

54 - شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص 34 ، والعجلاني أسرة دمشقية مشهوره بصحة النسب وقد توالى عدد منهم على نقابة أشراف دمشق مدة من الزمن،وينتهي نسبهم إلى جدهم الأعلى السيد محمد أبي البشائر شمس الدين القادم من مصر الى الشام أواخر القرن الثامن الهجري وتولى بها النقابة ومشيخة المشايخ، انظر المرجع: جامع الدرر البهية لأنساب القرشيين في البلادالشامية،ط1 ، بيروت 1424 هـ / 2003م .

55-صلاح حميد الجنابي ، جغرافية الحضر أسس وتطبيقات موصل ، جامعة الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر ، 1987 م ، ص 81.

56- ريمون ، المدن العربية ، ص 130 .

57 - شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص 24 .

58-شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص 24 .

59- البزورية :هو سوق تاريخي مشهور في دمشق، يقع إلى الجنوب من الجامع الأموي، ويضم العديد من الخانات التاريخية والمباني والمتاجر.

60- شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص 24 .

61- باب ساروجة من الأسواق المهمة والتاريخية في دمشق ، وكما- ذكرنا سابقًا- فأن هذه المنطقة كانت ضاحية تعود إلى العصر المملوكي ، مبنية في الجهة الجنوبية الغربية من خارج السور .

62- شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص 26.

63- الجّادة : تعني الطريق الأعظم الذي يجمع الطُّرق ، وجمعها جَوادُّ ، انظر إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، تحقيق مجمع اللغةالعربية ،المكتبة الشاملة .

64- شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص 26 .

65- شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص 25 .

66-شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص25 .

-أستاذ مشارك كلية التربية،قسم التاريخ،جامعة القدس المفتوحة،فرع رام الله التعليمي، فلسطين.*

67- ريمون ، المدن العربية ، ص 101 .

68- ريمون ، المدن العربية ، ص 102 .

69- ريمون ، المدن العربية ، ص 102.

70-شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص 24 .

71- ريمون ، المدن العربية ، ص 141.

72- ريمون ، المدن العربية ، ص 137 .

73- ريمون ، المدن العربية ، ص150.

74- عن أثر التحولات الاقتصادية العالمية على الدولة العثمانية ، انظر وزي في يهودا هرشلاغ ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط، ترجمة، مصطفى حسين، دار الحقيقة، بيروت، 1973م ، ص.32

75- عبدالكريم رافق،قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني،مجلة دراسات تاريخية،العدد 6،ذو الحجة،تشرين أول، 1980م،ص5-.28

76- عن أسواق دمشق قبل العصر العثماني ، انظر فيصل بن حمد ، الأسواق الشامية في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، 1992 .

77 - Zouhair . Gazzal . L-EconomiePolitugedeDamas Durant . Lexix siècle . structures traditionalist et capitalism Damas . Institutfrancais de Damas 1993 , p. 81 .

78- محمد أمين المحبي (ت 1111هـ / 1699 م) ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ج 2 ، بيروت ، دار صادر ، ج2 ، ص .56

79- اكرم العلبي، خطط دمشق ، دار الطباع، دمشق، ط1، 1989م ، ص.436

80- نعمان القساطلي، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، بيروت، 1879م، ص.117

81- Porter,J. L. Five Years in Damascus of the History Topography in cluding on account of the travels and Researchers and Antiquities of that city the palmyra Lebanon and Houran. London, 1855, p. 58.

82- مهند مبيضين ، مظاهر من الحياة الاقتصادية في دمشق وجوارها ، مجلة المنارة ، مجلد 14 ، عدد 2 ، 2008 ، ص 51

83-سوفاجيه ، دمشق الشام ، ص 186 .

84- عبد الكريم رافق، قافلة الحج الشامي وأهميتها في العهد العثماني، مجلة دراسات تاريخية، العدد 6، 1980م ، ص5- .28

85 -شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص 28 .

86- عن تاريخ الخانات في دمشق ، انظر عبد القادر الريحاوي ، خانات مدينة دمشق ، مجلة الحوليات السورية ، مج 25 ، 1972 م ، ص 49 – 50 .

87- لمعرفة الفرق بين القيسارية والخان ، انظر محمد الأرناؤوط ، معطيات عن تاريخ دمشق وبلاد الشام الجنوبية ، ط1 ، دار أبجدية ، دمشق ، 1995 م.

88-درافيو لوران، وصف دمشق في القرن السابع عشر ، ترجمة أحمد ايبش، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1982، ص.30

89- بنيت هذه المدرسة سنة 582 هـ / 1186 م ، على يد خاتون ست الشام ابنة نجم الدين أيوب ، وتعد هذه المدرسة من كبرى مدارس الشافعية في دمشق ، وهي لا تزال موجودة حتى اليوم وتم ترميمها ، انظر عبد القادر محمد النعيمي (ت 927 هـ / 1520 م) ، الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسيني ، ج 1، مطبعة الترقي ، دمشق ، 1928 م ، ص 277 .

90- المحبي ، خلاصة الأثر ، ص 25 .

91- محمد خليل المرادي (ت 1206 هـ / 1791 م) ، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، ج4 ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط3 ، 1988 م ، ص 23 .

92- رسلان بن يحيى القاري ، كان حيًا 1132 هـ / 1719 م) ، الوزراء الذين حكموا دمشق ، نشره صلاح الدين المنجد ، دمشق ، 1949 م ، ص .17

93- مع ذلك فإن المنشآت المسقوفة بالقباب لم تكن نادرة ، حيث عرفنا من قبل أن البستان الذي بناه مراد باشا قبل عام 1608 م ، كان يتضمن تسع قباب الأمر الذي نتج بلا شك عن التأثير العثماني المباشر ، ويبدو أن هذا الطراز من المباني قد لاقى نجاحًا كبيرًا .

94- ريمون ، المدن العربية ، ص 191.

95- كان يسميه المعاصرون لتلك الفترة قيسارية ، شيده أسعد باشا العظم (حاكم دمشق من1156 هـ / 1743 م –1171 هـ / 1757 م) ، انظر أحمد بدير الحلاق البديري ، حوادث دمشق اليومية ، 1154-1175 هـ / 1741-1722 م ، تحقيق : أحمد عزت عبد الكريم ، مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات ، لقاهرة ، 1959 م ، ص 219 .

96-حكم سليمان باشا العظم في دمشق مدة خمس سنوات (1151هـ/ 1738م-1156هـ/1743م)،انظر ابن كنّان،الحوادث اليومية من تاريخ أحدعشر وألف ومية،ط1،تحقيق: أكرم العلبي،دار الطباع،دمشق، 1994م ،ص.199

97- ريمون ، المدن العربية ، ص 192.

98- ريمون ، المدن العربية ، ص 192.

99-شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص .36

100-شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص 37 .

101- حدثت معركة مرج دابق بين العثمانيين بقيادة السلطان سليم الأول وجيش المماليك القادم من مصر بقيادة السلطان الأشرف قانصوه الغورى على مشارف حلب في مكان يسمى "مرجدابق"، وكان هنا كعدة أسباب وراء حدوث هذه المعركة ، انظر: https://ar.wikibooks.org .

102 - ثُكْنَة : جمع ثكنات أو ثكن وهي عبارة عن مركز الجنود ومجتمعهم .

103- الانكشارية من التركية العثمانية تعني: "الجيش الجديد"، وهم طائفة عسكرية من المشاة العثمانيين شكلوا تنظيماً خاصاً لهم ثكناتهم العسكرية وشاراتهم ورتبهم وامتيازاتهم،وكانوا أقوى فرقا لجيش العثماني وأكثرها نفوذاً .

104- آغا : في العصر العثماني تعني لقب أصحاب بعض الرُّتب العسكريَّة .

105-سوفاجيه ، دمشق الشام ، ص 191 .

106-سوفاجيه،دمشق الشام،ص191 .

107-شيلشر ، دمشق في القرنين ، ص 29 .